أثر علم الجرح والتعديل في حفظ الحديث النبوي الشريف

The impact of the science of criticism and modification in preserving the noble prophetic hadith

م.م. ياسر خليف أحمد
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة الأنبار
yasser1972alkhaldy@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث الحديث عن أثر علم الجرح والتعديل في حفظ الحديث النبوي الشريف من التحريف، إذ تناول بداية الحديث عن مفهوم علم الجرح والتعديل في اللغة والاصطلاح، ومن ثم ذكر ألفاظ الجرح والتعديل الدالة على هذا العلم، ومراتبه الجرح والتعديل من حيث صدق الراوي ومراتب هذا الصدق أو ضعفه، ثم الحديث عن قواعد هذا العلم والحاجة إليه والوجوب والجواز فيه، وتكمن أهمية البحث عبر عناية العلماء به، وما للجرح والتعديل من أثر واضح في حفظ الحديث الشريف عبر أقوال العلماء والفقهاء والمحدثين الذين أسهموا في جمع أسماء رواة الأحاديث وأسباب تجريح الرواة.

الكلمات المفتاحية: ((الجرح، التعديل، الحديث)).

Abstract

This research deals with the effect of the science of criticism and modification in preserving the noble prophetic hadith from distortion. It begins by discussing the concept of the science of criticism and modification in language and terminology, then mentioning the words criticism and modification that indicate this science, and its levels of criticism and modification in terms of the truthfulness of the narrator and the levels of this truthfulness or its weakness, then talking about the rules of this science and the need for it and the obligation and permissibility in it. The importance of the research lies in the scholars' attention to it, and the clear effect of criticism and modification in preserving the noble hadith through the statements of scholars, jurists and hadith scholars who contributed to collecting the names of the narrators of hadiths and the reasons for criticizing the narrators.

Keywords: criticism, modification, hadith.

المقدمة

قيض الله تعالى من سلف الأمة الإسلامية من يذود عنها، ويجاهد ويصابر من أجل صيانتها، وينفي عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ فنهض علماء الأمة وقادتها في عهد الخلافة الراشدة؛ لجمع القرآن الكريم ثم كتابته في مصحف إمام، وجاء بعدهم من يخدمه كتابة ورسماً وتفسيراً وإقراءً..

ولم يأل هؤلاء جهداً في خدمة السنة النبوية المشرفة، فقام من يكتبها في صحف خاصة؛ فوهبّ الجميع لحفظها والعمل بها، ثم روايتها وتبليغها، واستمر الأمر على هذا النحو، ثم اتّسعت آفاقه بعد أن لجأ بعض ضعاف الإيمان من أهل الأهواء والبدع، والفرق الكلامية، والسياسية، إلى تحريف بعض الأحاديث النبوية، أو وضع أحاديث على لسان رسول -الله صلى الله عليه وسلم-، فهبّ علماء المسلمين وعامتهم إلى الذود عن السنة النبوية، ومقاومة وضع الوضاعين، فكثر الكلام في الرواة تعديلاً وتجريحاً، وقبلت أحاديث وردّت أخرى.

وقد كان ذلك أساساً لعلم الجرح والتعديل عبر التمحيص وتمييز الخبيث من الطيب، وقد شهد الجميع النتائج الطيبة المباركة لهذا العلم، وعلى رأسها رواية الأحاديث النبوية الشريفة غضّة نقية صافية كما صدرت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلى أن استقرت في مصادرها بعد ازدهار حركة التصنيف المنهجي للحديث، وظهور الكتب المتعددة من موطآت، ومصنفات ومسانيد، وجوامع، ومستدركات، ومستخرجات، ومعاجم وأجزاء اختار فيها أصحابها مناهج معينة في ترتيب الأحاديث، وشروطاً في التصحيح والتضعيف والقبول والرد.

ونظرا لأهمية علم الجرح والتعديل، وتوقف التصحيح ، والتضعيف، والقبول، والرد عليه؛ فقد وقع اختياري على هذا البحث الذي عنوانه: ((أثر علم الجرح والتعديل في حفظ الحديث النبوي الشريف))، وقد اقتضت الدراسة أن تكون مقسمة على مبحثين: وكان المبحث الأول مخصصا للحديث عن تعريف علم الجرح والتعديل، وألفاظهما ومراتبهما، أما المبحث الثاني فجاء للحديث عن قواعد الجرح والتعديل، وعناية العلماء بهذا العلم، وأثر هذا العلم في حفظ الحديث النبوي الشريف، والله الموفق للصواب.

❖ سبب اختيار الموضوع:

من أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يأتي:

١- أهمية علم الجرح والتعديل في تمييز صحيح الحديث من ضعيفه أو مردوده.

٢- دور علم الجرح والتعديل في حفظ السنة النبوية الشريفة من التزوير والتحريف.

٣- معرفة الرواة ومراتبهم في رواية الحديث لما يترتب على ذلك من أمور تشريعية.

❖ أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في الأمور الآتية:

١- دور علم الجرح والتعديل في تبيين مراتب الرواة ومدى صحة الأحاديث التي يروونها.

٢- معرفة أحوال الرواة وأنسابهم ومشاربهم المعرفية.

٣- معرفة قواعد الجرح والتعديل الناظمة لهذا العلم.

❖ وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وهي كما يلي:

المبحث الأول: تعريف علم الجرح والتعديل

المطلب الأول: تعريف الجرح والتعديل

المطلب الثاني: ألفاظ الجرح والتعديل ومراتبها

المبحث الثاني: قواعد الجرح والتعديل وأهميتها في حفظ الحديث الشريف

المطلب الأول: قواعد الجرح والتعديل

المطلب الثاني: عناية العلماء بعلم الجرح والتعديل

المطلب الثالث: أثر علم الجرح والتعديل في حفظ الحديث الشريف.

وخاتمة تلتها قائمة بالمصادر والمراجع

❖ منهج البحث:

١- تبيين مفهوم الجرح والتعديل وبيان مراتبهما.

٢- ذكر أقوال العلماء في أهمية الجرح والتعديل.

٣- ذكر أقوال العلماء في أثر هذا العلم في حفظ الحديث الشريف.

المبحث الأول: تعريف علم الجرح والتعديل

المطلب الأول: تعريف الجرح والتعديل:

إن الجرح في اللغة يعني شيئين: كسب وشق في الجلد، الأول قولهم: إذا عمل وكسب جرح، والثاني قولهم: جرحه بالحديد[١].

وفي الاصطلاح: وصف الراوي بطريقة تتطلب تفنيد الراوي. وقد يكون الرد مطلقا، كما في روايات الكاذبين والضعفاء الشديدين، أو قد يقتصر على تفرد الراوي وعدمه. أتباع أو شهود، مثل راوي (سردوك الذاكرة السيئة)، أو هجين هجين..[٢].

والعلاقة بين معنى اللغة ومعنى اللفظ هي أن الراوي يكتسب شيئا ينافي العدل، ويكون سببا لإيذاء الناس له وانتهاك حرمته[٣].

أما التعديل في اللغة يعني: من العَدْل، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وتعديل الشيء: تقويمه، بحيث يكون مستقيماً[٤].

وفي الاصطلاح: وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته[٥]، أو هو: «علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ»[٦].

المطلب الثاني: ألفاظ الجرح والتعديل ومراتبهما:

إن الألفاظ المخصوصة في ألفاظ التعديل وألفاظ التجريح كثيرة، فمثال ألفاظ التعديل: ثقة، ثَبْتٌ، صدوق، ومثال ألفاظ التجريح: ضعيف، متروك، كذاب، وألفاظ التعديل منها ما يدل على المرتبة العليا في التثبت والضبط، ومنها ما يدلُّ على المرتبة الدنيا، وبينهما مراتب متفاوتة. وكذلك ألفاظ التجريح، منها ما يدل على أسوأ التجريح، ومنها ما يدل على أدناه، وبينهما مراتب متفاوتة أيضاً[٧].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ١/ ٤٥١.
(٢) ينظر: ضوابط الجرح والتعديل للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف، ص١٠.
(٣) ينظر: المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل للدكتور فاروق حمادة، ص١٩.
(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ١١/ ٤٣٠، ٤٣٢.
(٥) المختصر في علم رجال الأثر، لعبد الوهاب عبد اللطيف، ص ٤٣، وينظر: جامع الأصول لابن الأثير، ١/ ١٢٦.
(٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، ١/ ٥٨٢.
(٧) ينظر: فتح المغيث للسخاوي، ٢/ ١٠٨ -١٣٠، وشفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل، وضوابط الجرح والتعديل للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف، ص: ١٧١-١٧٣.

وأول من ذكر هَذه المراتب أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) إذ قال في مقدمة كتابه «الجرح والتعديل»: «وجدت الألفاظ في الجرح والتعديل على مراتب شتى:

فإذا قيل للواحد: إنه ثقة، أو متقن، ثبت، فهو ممن يُحتج بحديثه، وإذا قيل له: إنه صدوق، أو محله الصدق، أو لا بأس به، فهو ممن يُكتب حديثه ويُنظر فيه، وهي المنزلة الثانية، وإذا قيل: شيخ، فهو بالمنزلة الثالثة، يُكتب حديثه ويُنظر فيه، إلا أنه دون الثانية، وإذا قيل: صالح الحديث، فإنه يكتب حديثه للاعتبار»[١].

فهذه مراتب التعديل عند أبي حاتم -رحمه الله-؛ فقد جعلها أربع مراتب، ثم ذكر مراتب التجريح، فجعلها أربع مراتب أيضاً، فقال رحمه الله:

- «وإذا أجابوا في الرجل بليِّن الحديث، فهو ممن يُكتب حديثه ويُنظر فيه اعتباراً.
- وإذا قالوا: ليس بقوي، فهوبمنزلة الأول في كتبة حديثه، إلا أنه دونه.
- وإذا قالوا: ضعيف الحديث، فهو دون الثاني، لا يطرح حديثه، بل يُعتبر به.
- وإذا قالوا: متروك الحديث، أو ذاهب الحديث، أو كذاب، فهو ساقط الحديث، لا يُكتب حديثه، وهي المنزلة الرابعة»[٢].

وزاد الذهبي والعراقي مرتبة خامسة في مراتب التجريح[٣]، وتلاهم الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) فأضاف إضافات مهمة في الألفاظ والمراتب[٤].

ثم جاء شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ) فاستفاد من هذه الجهود المتقدمة فقسم كلاً من ألفاظ التعديل وألفاظ التجريح إلى ست مراتب، وعليها استقر العمل، وهذه المراتب هي:

أ: مراتب ألفاظ التعديل:

- المرتبة الأولى: ما أتى بصيغة أفعل، كأن يقال: أوثق الناس أو أثبت الناس، أو إليه المنتهى في التثبت، ويحتمل أن يلحق بها: لا أعرف له نظيراً في الدنيا.
- المرتبة الثانية: فلان لا يسأل عن مثله، ونحو ذلك.
- المرتبة الثالثة: ثقة ثبت، أو ثبت حجة، أو ثقة ثقة.

(١) الجرح والتعديل، ٢/ ٣٧.
(٢) الجرح والتعديل، ٢/ ٣٧.
(٣) ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح، ص: ٢٣٧-٢٤٠. والميزان للذهبي، ١/ ٤، وشرح التبصرة والتذكرة للعراقي، ٢/ ٢-١٢، وضوابط الجرح والتعديل للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف، ص ١٧١-١٧٣.
(٤) ينظر: تقريب التهديب، ص: ٧٤، ونزهة النظر، ص٦٩-٧٠.

- المرتبة الرابعة: ثقة، أو ثبت، كأنه مصحف، أو فلان متقن أو حجة، وكذا إذا قيل للعدل: حافظ، أو ضابط.
- المرتبة الخامسة: ليس به بأس، أو لا بأس به، أو صدوق، أو مأمون، أو خيار.
- المرتبة السادسة: محله الصدق، ورووا عنه، أو روى الناس عنه، أو يروى عنه، أو إلى الصدق ما هو[1]، وكذا شيخ وسط، أو وسط، أو شيخ، ومقارب الحديث ـ بكسر الراء ـ ومقارب الحديث ـ بفتحها[2] -، وصالح الحديث، أو جيد الحديث، أو حسن الحديث، أو ما أقرب حديثه، أو صويلح، أو صدوق إن شاء الله، أو أرجو أن لا بأس به، أو يكتب حديثه، فَطِن كَيّس، ما علمت فيه جرحاً، ما أعلم به بأساً.

ب: مراتب ألفاظ التجريح:

- المرتبة الأولى: أكذب الناس، أو إليه المنتهى في الوضع، أو هو ركن الكذب، ونحو ذلك.
- المرتبة الثانية: كذاب، أو يضع الحديث على رسول الله ﷺ، أو يكذب، أو وضاع، أو دجال، أو وضع حديثاً.
- المرتبة الثالثة: فلان يسرق الحديث، أو متهم بالكذب، أو بالوضع، أو ساقط، أو هالك، أو ذاهب الحديث، أو متروك، أو تركوه، أو مجمع على تركه، أو هو على يدي عدل[3]، أو مودٍ - بالتخفيف -، أو فيه نظر أو سكتوا عنه عند البخاري، أو فلان لا يعتبر به، أو لا يعتبر بحديثه، أو ليس بالثقة، أو ليس بثقة، أو غير ثقة ولا مأمون.
- المرتبة الرابعة: فلان رُدّ حديثه، أو ردوا حديثه، أو مردود الحديث، أو ضعيف جداً، أو واهٍ بمرة، أو تالف، أو طرحوا حديثه، أو ارمِ به، أو مطَّرح، أو مطّرح الحديث، أو لا يُكتب حديثه، أو لا تحل كتبة حديثه، أو لا تحل الرواية عنه، أو ليس بشيء، أو لا شيء، أو لا يساوي فلساً، أو لا يساوي شيئاً.
- المرتبة الخامسة: فلان ضعيف، أو منكر الحديث، أو حديثه منكر، أو له ما يُنكَر، أو له مناكير، أو مضطرب الحديث، أو واهٍ، أو ضعَّفوه، أو لا يحتج به.
- المرتبة السادسة: فلان فيه مقال، أو أدنى مقال، أو ضُعِّف، أو فيه ضعف، أو في حديثه ضعف، أو تُنْكِر وتَعْرِف، أو ليس بذاك، أو ليس بذاك القوي، أو ليس بالمتين، أو ليس بالقوي، أو ليس بحجة، أو

(١) يعني: أنه ليس ببعيد عن الصدق. قاله السخاوي: فتح المغيث، ٢/ ١١٤.

(٢) بكسر الراء معناه: حديثه مقارب لحديث غيره من الثقات، وبفتح الراء أي: حديثه يقاربه حديث غيره. ذكره السخاوي أيضاً.

(٣) كناية عن الهالك، وكذا قوله: مودٍ ـ بالتخفيف ـ أي: هالك، ينظر: فتح المغيث للسخاوي ٢/ ١٢٨-١٢٩.

ليس بعمدة، أو ليس بمأمون، أو ليس من إبل القباب[1]، ونحوه ليس من جمال المحامل، أو ليس بالمرضي، أو ليس يحمدونه، أو ليس بالحافظ، أو غيره أوثق منه، أو في حديثه شيء، أو مجهول، أو فيه جهالة، أو لا أدري ما هو، أو للضعف ما هو، أو فيه خُلْف، أو طعنوا فيه، أو مطعون فيه، أو نزكوه[2]، أو فلان سيئ الحفظ، أو ليّن، أو ليّن الحديث، أو فيه لين، أو تكلموا فيه، وكذا سكتوا عنه أو فيه نظر من غير البخاري.

والحكم في المراتب الأربع الأول من ألفاظ التجريح أنه لا يحتج بواحد من أهلها، ولا يستشهد به ولا يُعتبر به... وما عدا الأربع... يخرج حديثه للاعتبار، لإشعار هذه الصيغ بصلاحية المتصف بها لذلك وعدم منافاتها لها»[3].

المبحث الثاني
((قواعد الجرح والتعديل وأهميتهما في حفظ الحديث الشريف))

المطلب الأول: قواعد الجرح والتعديل:

إن الكلام في الرواة تعديلاً وتجريحاً ذو شأن كبير، فإن من نتائجه قبول الحديث أو رده، وقبول الحديث معناه قبول ما يفيده من تحليل أو تحريم، أو أمر أو نهي، أو ترغيب أو ترهيب، وإدخال ذلك كله في دائرة الشرع، ثم إن جرح الرواة جرح لا يندمل ويبقى سبة مدى الدهر، فكان لزاماً أن يحاط التعديل والتجريح بسياج من الضوابط والقواعد والآداب تقيه من الزلل والشطط والمحاباة والمغالاة، وتمنع أن يميل صاحبه تأثراً بالحب أو البغض كالصداقة أو القرابة بين الأفراد، أو التنافس والتباغض بين الأقوام.

وإن لهذه القواعد والآداب آثارا كبيرة في مجالات الرواية والشهادة وتقويم الرجال، فإذا كان الكلام في الرواة أو الشهود منضبطاً بتلك القواعد ومتقيدا بها فإنه يكون مَقْبُولا، وإلا كان من قبيل الكلام المهدر الذي لا يلتفت إليه. من تلك القواعد:

١. الجرح واجب عند الحاجة.

أجمع العلماء على أن الجرح ليس بالغيبة المحرمة، بل هو نصيحة يُعرف بها الحق من الباطل ونوع من التدين، وأما تركه مع العلم بخطورته فإثم وخيانة للشرع وأهله.

(١) قال الحافظ ابن حجر: «هذه العبارة يؤخذ منها أنه يُروى حديثه ولا يحتج بما ينفرد به، كما لا يخفى من الكناية المذكورة»، ذكره السخاوي في فتح المغيث، ٢/ ١٢٤.
(٢) أي طعنوا فيه. ذكره السخاوي.
(٣) فتح المغيث للسخاوي، ٢/ ١٠٨- ١٢٥.

قال الإمام مسلم: ((وبدلا من ذلك عملوا على كشف أخطاء رواة الحديث وحاملي الأخبار، وعندما سئلوا أصدروا فتوى مفادها أن ذلك يجلب خطرا كبيرا بسبب أخبار الأمور الدينية، ولن يأتي إلا بالتحليل والنهي والأمر والنهي. والتشجيع والترهيب إذا كان الراوي لا معنى له، من أجل الصدق والمصداقية، فإن الأشخاص الذين يعرفونه يستمرون في روايته دون أن يشرحوه لغيرهم من الجهلاء. لقد كان خاطئًا ومخادعًا في القيام بذلك. للمسلمين العاديين)). (١)

وقال الإمام الذهبي في حديث: ((من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: الذي حملها في الدنيا: علي)): وقد رواه ابن مردويه من طرق في أمثاله، وما بَيَّنَ بطلانها، إن هذه لخيانة وقلّة وَرَع.(٢) وقال أيضا: ((كلام الناقد الورع في الضعفاء من النصح لدين الله، والذَّبَّ عن السنة.))(٣)

ولكن العلماء لم يجوزوه مطلقا، وإنما ربطوه بالحاجة الداعية إليه، ولذلك اشترطوا فيه حسن النية وأن يكون خالصا لله تعالى، وكل ما كان بسبب عداوة أو حسد أو تفكه بأعراض الناس أو جريان مع الهوى أو غير ذلك من حظوظ النفس فإثم محرم وإن حصلت به المصلحة بعد ذلك. قال الإمام الشافعي: «من أبغض الرجل لأنه مِنْ بني فلان، فهو متعصب مردود الشهادة».

٢. لا يجوز نقل الجرح فقط فيمن وُجِدَ فيه الجرح والتعديل.

التعديل والتجريح شهادة من الناقد يلزمها الصدق والتحري والإنصاف، فلا يجوز أن يصدر تعديل أو تجريح يحكمها الهوى أو المحاباة ونحو ذلك، فلا يحل للناقد أن ينقل الجرح فقط فيمن وجد فيه الجرح والتعديل كلاهما فإن ذلك ظلم له.

قال الإمام ابن سيرين (١١٠ هـ): «ظلمت أخاك إذا ذكرت مساوئه ولم تذكر محاسنه»(٤). وقال الإمام الذهبي في ترجمة أبان بن يزيد العطار: «قد أورده العلامة ابن الجوزي في «الضعفاء». ولم يذكر فيه أقوال مَنْ وثَّقه، وهذا من عيوب كتابه يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق»(٥).

٣. لا يقبل الجرح والتعديل ممن ليست له معرفة بأسبابهما.

اتفق العلماء على عدم قبول الكلام في الرواة الصادر عمن يجهل أسباب الجرح والتزكية، وقال تاج

(١) مقدمة صحيح مسلم، ١/ ٢٨.
(٢) ترتيب الموضوعات الكبرى، ص ١٨٧.
(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٢٨.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب كما نسبه إليه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، ٩/ ٢٧٥.
(٥) ميزان الاعتدال، ١/ ٩.

الدين السبكي: «من لا يكون عالما بأسبابهما -أي الجرح والتعديل- لا يقبلان منه لا بإطلاق ولا بتقييد»[١].

وقال الحافظ ابن حجر: «وينبغي ألاَّ يقبل الجرح والتعديل إلا من عدل متيقظ، فلا يقبل جرح من أفرط فيه فجرح بما لا يقتضيه رد حديث المحدث، كما لا يقبل تزكية من أخذ بمجرد الظاهر فأطلق التزكية»[٢].

٤. لا يعدل ويجرح إلا من كان عدلا غير مجروح.

لا يقبل الجرح والتعديل ممن هو مجروح ساقط العدالة، ففي الحديث: «ألا لا تجوز شهادة الخائن ولا الخائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا الموقوف على حد.»[٣]

٥. التعديل مقبول من غير ذكر سببه.

هذا على المذهب الصحيح المشهور كما يقول ابن الصلاح،[٤] لأن أسبابه كثيرة يصعب ذكرها، فإن ذلك يُحْوِج المعدل إلى أن يقول: لم يفعل كذا لم يرتكب كذا، فيعدد جميع ما يُفَسَّقُ بفعله أو تركه، وذلك شاق جدا.

٦. لا يقبل الجرح إلا مفسرا مبين السبب [٥].

والسبب في ذلك يرجع إلى أنه لا يصعب ذكره إذ يجرح الراوي، بالمجرح الواحد. فالراوي قد يكون عدلا، إلا أنه غير متقن مثلا بسبب سوء حفظ أو كثرة غفلة» فيُجرّح بسبب ذلك.

ولا يقبل الجرح إلا مفسرا أيضا لاختلاف الناس فيما يجرح وما لا يجرح. فقد يتكلم بعضهم في الرواة بما لا يوجب الرد تأويلا أو جهلا، فيطلق جرحا مردودا لا يثبت اعتقادا منه أنه مجرح، أو تشدداً منه بحيث يَغْمِز الراوي بالغلطتين والثلاث.[٦] فلا بد إذاً من بيان سبب الجرح ليُنظر فيه أهو جائز مقبول أم لا؟.

٧. لا يقبل التعديل على الإبهام.

التعديل على الإبهام هو أن يقول القائل: حدثني «الثقة»، أو: «من لا أتهم»، من غير أن يُسَمِّيه، وقد وقع ذلك عند العديد من الأئمة كمالك في الموطأ، والشافعي.[٧]

(١) ينظر جمع الجوامع، ٢/ ١١٢.
(٢) شرح نخبة الفكر، ص ٤١.
(٣) ابن ماجه كتاب الأحكام باب من لا تجوز شهادته، 2/ 345.
(٤) ينظر علوم الحديث، ص ١٠٦.
(٥) هذا عند تعارض الجرح والتعديل فلابد أن يكون الجرح مفسراً على الراجح كما ذكر الباحث، أمّا إذا خلا المجروح من التعديل ، فيقبل الجرح وإن لم يفسّر ينظر نزهة النظر، ص١٩٣ وعلوم الحديث لابن الصلاح، ص١٠٦-١٠٧ (اللجنة العلمية) .
(٦) ينظر تقسيم الإمام الذهبي للنقاد الذين تكلموا في الرواة وذكره لقسم متعنت في الجرح متشدد في التعديل يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث.
(٧) ينظر مثلا الرسالة، ص ٤٤٨-٤٥٠.

هذا التعديل مردود إذا لم يصدر عن إمام من النقاد المجتهدين كمالك والشافعي وأحمد، لأن من أُبْهِم وعُدِّل فربما لو ذكر بما يُعرف به كان مِمَّن جَرَّحه غيرُه بجرح قادح، لذلك فإن عدم تسميته سبب في إثارة الشك والريبة حوله، وقد توجب التوقف في قبول حديثه.

- المطلب الثاني: عناية العلماء بعلم الجرح والتعديل:

العناية برجال الأسانيد لا تقل أهمية عن العناية بالأسانيد وبالمتون التي انتهت إليها تلك الأسانيد، لذلك قال علي بن المديني رحمه الله: «التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم»(١).

فكما بذل المحدثون جهوداً عظيمة في جمع الأحاديث وحفظها، وتدوينها، وتأليف الكتب المسندة بأنواعها المتعددة، فقد بذلوا أيضاً جهوداً عظيمة في البحث عن أحوال الرجال الذين رووا تلك الأحاديث، والتفتيش عنهم، وسؤال أهل العلم عنهم، والسفر إلى البلدان لمشافهتهم والتعرف عليهم.

قال عبد الرحمن المعلمي رحمه الله: «ليس نقد الرواة بالأمر الهيّن، فإن الناقد لابد أن يكون واسع الاطلاع على الأخبار المروية، عارفاً بأحوال الرواة السابقين وطرق الرواية، خبيراً بعوائد الرواة ومقاصدهم وأغراضهم، وبالأسباب الداعية إلى التساهل والكذب، والموقعة في الخطأ والغلط، ثم يحتاج إلى أن يعرف أحوال الراوي: متى ولد؟ وبأي بلد؟ وكيف هو في الدين والأمانة والعقل والمروءة والحفظ؟ ومتى شرع في الطلب؟ ومتى سمع؟ وكيف سمع؟ ومع من سمع؟ وكيف كتابه؟ ثم يعرف أحوال الشيوخ الذين يحدث عنهم، وبلدانهم، ووفياتهم، وأوقات تحديثهم، وعادتهم في التحديث. ثم يعرف مرويات الناس عنهم، ويعرض عليها مرويات هذا الراوي، ويعتبرها بها، إلى غير ذلك مما يطول شرحه. ويكون مع ذلك متيقظاً، مرهف الفهم، دقيق الفطنة، مالكاً لنفسه، لا يستميله الهوى، ولا يستفزه الغضب، ولا يستخفه بادر ظن حتى يستوفي النظر، ويبلغ المقر، ثم يحسن التطبيق في حكمه فلا يجاوز ولا يقصر...»(٢).

ومن اهتمام المحدثين بالكلام في الرواة أنهم كانوا يروونه كما يروون الأحاديث، ولم تظهر مصنفات مستقلة في الجرح والتعديل إلا في النصف الثاني من القرن الثاني، ثم تتابعت المصنفات بعد ذلك(٣).

(١) المحدث الفاصل للرامهرمزي، ص٣٢٠.

(٢) مقدمة تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، ص ب-ج.

(٣) ينظر: بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم العمري، ص٩٩-١٠٠. وعلم الرجال نشأته وتطوره للدكتور محمد بن مطر الزهراني، ص٢٦.

المطلب الثالث: أثر علم الجرح والتعديل في حفظ الحديث الشريف:

هذه الجهود العظيمة التي قام بها علماء الحديث المقصود منها هو حماية السنة النبوية والمحافظة عليها، وقد تحقق لهم بفضل الله عز وجل ما أرادوه، وكان لعلم الجرح والتعديل وعلمائه دور كبير في ذلك.

فقد مكّن كلام العلماء في الرواة والتمييز بين الثقات والضعفاء للأحاديث الصحيحة من الانتشار، وقلل من انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لأن كثيرا من المحدثين كانوا يتجنبون الرواية عن أولئك الضعفاء والكذابين وأهل البدع.

قد قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رحمه الله في بيان جهود العلماء في حفظ الأخبار ونقدها: «... وعمدوا إلى الأخبار فانتقدوها وفحصوها، وخلصوا لنا منها ما ضمنوه كتب الصحيح، وتفقدوا الأخبار التي ظاهرها الصحة وقد عَرفوا بسعة علمهم ودقَّة فهمهم ما يدفعها عن الصحة، فشرحوا عللها، وبَيَّنوا خللها، وضمنوها كتب العلل، وحاولوا مع ذلك إماتة الأخبار الكاذبة فلم ينقل أفاضلهم منها إلا ما احتاجوا إلى ذكره؛ للدلالة على كذب راوية أو وهنه، ومن تسامح من متأخريهم فروى كل ما سمع، فقد بين ذلك ووكَلَ الناس إلى النقد الذي قد مُهدت قواعده، ونُصبت معالمه، فبحقٍ قال المستشرق المحقق مرجليوث: ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم»[1].

إن المهابة العظيمة التي جعلها الله عز وجل في قلوب الناس لعلماء الجرح والتعديل، جعلتهم يتحرزون من الكذب، ويتحفظون من الوقوع في الخطأ في الرواية، خوفاً من أن يتكلم فيهم أحد أئمة الجرح والتعديل، فيسقطوا من أعين الناس بتلك الكلمة، وتسطر تلك الكلمة في كتب الجرح والتعديل، ويتناقلها الناس في كتبهم قرناً بعد قرن، لذلك كانوا يحتاطون فيما يروونه أشد الاحتياط، وكان بعضهم لا يروي إلا من كتابه، خوف الوقوع في الخطأ، ومنهم من يمتنع من التحديث إذا أحس من نفسه تغيراً، أو يحجبه أبناؤه، فلا يمكنون أحداً من السماع منه.

قال عبد الرحمن بن مهدي: «جرير بن حازم اختلط، وكان له أولاد أصحاب حديث، فلما خشوا ذلك منه حجبوه، فلم يسمع منه أحد في اختلاطه شيئاً»[2].

إنما خشوا أن يخطئ في روايته بسبب الاختلاط فَيُنقل عنه الخطأ، فيتكلم فيه المحدثون، وهكذا جعل الله عز وجل أئمة الجرح والتعديل حراسا لسنة نبيه ﷺ فحفظ الله عز وجل بهم السنة، قال الحافظ ابن كثير رحمه

(١) مقدمة تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، ص أ-ب.
(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٢/ ٥٠٥.

الله في تفسيره في كلامٍ له على أخبار بني إسرائيل: «... وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وُضِعَ فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي، والمقام المحمدي خاتم الرسل، وسيد البشر ﷺ ، أن ينسب إليه كذب، أو يُحَدَّثَ عنه بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم...»(١).

وقد ساهم علم الجرح والتعديل في حفظ السنة النبوية بعيدة عن التغيير والتبديل، سليمة من التزوير والتحوير، ولتكون حجة الله على خلقه ملزمة قاطعة، لا عذر لهم بتجاهلها والتنكر لها. قال الإمام يحيى بن معين: «لولا الجهابذة لكثرت السرقة والزيوف في رواية الشريعة»(٢). وقال الحاكم: «فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الإسناد، فإن الأخبار إذا تَعَرَّتْ عن وجود الأسانيد فيها كانت بُتراً»(٣).

وساهم علم الجرح والتعديل في جمع أسماء رواة الأحاديث والآثار، وبيان أحوالهم، تعديلا وتجريحا رغم كثرة عددهم، وتباين أحوالهم في كتب خاصة بهم، وتبيين أسباب تجريح الرواة، وهي التي تسمى أسباب اختلال العدالة والضبط، وفي المقابل بُينت خصال تشترط في الراوي الثقة، إلى جانب إمكان الاطلاع على تلبيس التدليس والوقوف على حقيقة المراد من العنعنة بعد التأكد من سماع الراوي عَمَّنْ يروي عنه أو عدمه، ومعرفة سنة اختلاط الراوي ليحتج بمروياته قبل الاختلاط، وتطرح التي كانت بعد الاختلاط، ومعرفة تاريخ ولادة الرواة وتاريخ وفاتهم، وبذلك يستدل العلماء على كذب الكاذب في روايته عمن لم يدركه(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٨٩ تفسير الآية رقم ٥٠ من سورة الكهف.
(٢) معرفة السنن والآثار، ص ٥.
(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص ٦.
(٤) نـزهة النظر، ص ٤٠.

وفي علم الجرح والتعديل إشادة بعبقرية تلك العقول المبدعة التي عرفت كيف تضع المنهج الصحيح لإدراك غاية صحيحة؛ ولذلك فإن هذا المنهج قد تمَّ اعتماده في علم التفسير والقراءات[١] وعلم اللغة وعلم التاريخ[٢]. وحق لمن ينادي اليوم بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وتمحيصه ونفي ما وقع فيه من الأكاذيب، عنه، أن يستند إلى منهج نقاد الحديث، ويخطو خطواتهم، ويسلك سبيلهم ليثبت الحقائق والوقائع مهما كانت طبيعتها، ويبين زيف الأكاذيب والتضليلات، وقد قال الإمام ابن حبان: «إذ لا يتهيأ معرفة السقيم من الصحيح، ولا استخراج الدليل من الصريح، إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين وثقاتهم»[٣].

الخاتمة

إنه حين نتأمل مليًّا في علم الرجال، وما بذله المحدثون النقاد من جهود طيبة من تجريح وتعديل، وتتبع دقيق لأحوال الرواة، ووضع لألوان الكتب وأنواع المصنفات، نوقن إيقانا ثابتا أن الله تعالى قد تولى حفظ الحديث النبوي بمثل ما تولَّى به كتابه العزيز، وأن شريعة الله لا تزال محفوظة، وسنة رسوله لا تبرح بحمد الله محروسة يقوم على ذلك رجال صادقون وَفَّوا بما عاهدوا الله، وانقطعوا لخدمة هذا الدين، إذ حققوا هدفهم المنشود: وهو معرفة أحوال الرواة تعديلا وتجريحا، وتمّ التمييز بين الثقات والضعفاء منهم، وذلك طريق إلى معرفة الصحيح والسقيم من الأحاديث؛ ومن أهم نتائج هذا البحث:

١. ساعم علم الجرح والتعديل في تكوين رأي عام واع بمكانة السنة النبوية، ومدرك لخطورة تحريفها والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

٢. ساهم الناس إلى جانب العلماء في الذود عن السنة ومقاومة الوضع والوضّاعين.

٣. كان من ثمرات علم الجرح والتعديل الرد على حملات التشكيك في السنّة التي تقودها الدوائر الاستشراقية، وعلى الشبهات التي يروجها الأدعياء من بني جلدتنا الذين رضعوا من ألبان أعدائنا فأصبحوا يتكلمون، بألسنتهم ويضربون بسيوفهم.

(١) التفسير ورجاله: محمد الفاضل بن عاشور، ص ٣٩ وما بعدها .
(٢) ينظر كتاب المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل لشيخنا الدكتور فاروق حمادة، ص ١٠٠ وما بعدها.
(٣) كتاب المجروحين، ١/ ٤.

المصادر والمراجع

١- بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٥.

٢- ترتيب الموضوعات الكبرى لابن الجوزي، الحافظ الذهبي، تح: عبد البصير خليفة حسن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٦.

٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دت.

٤- التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢.

٥- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تح: محمد عوامة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦.

٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تح: عبد المجيد سليم، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٤٩.

٧- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ابن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

٨- الجرح والتعديل ابن أبي حاتم الرازي، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢.

٩- جمع الجوامع في أصول الفقه، السبكي، تح: عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

١٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، عناية: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤.

١١- سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، دت.

١٢- سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، تح: مجموعة من الأساتذة، تقديم: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

١٣- شرح التبصرة والتذكرة، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن إبراهيم العراقي، تح: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢،

١٤- شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تح: نور الدين عتر، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٣٩٨.

١٥- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر، مكتبة البشري، باكستان، ٢٠١١.

١٦- شفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل،

١٧- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت..

١٨- ضوابط الجرح والتعديل ، عبد العزيز العبد اللطيف، كلية الحديث، المدينة المنورة، ١٤١٢ .
١٩- علم الرجال نشأته وتطوره، محمد بن مطر الزهراني، دار الهجرة، الرياض، ١٤١٧ .
٢٠- علوم الحديث، ابن الصلاح، تح: نور الدين عتر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١ .
٢١- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، السخاوي، تح: علي حسين علي، إدارة البحوث العلمية، الهند، ١٤٠٩ .
٢٢- كتاب المجروحين، محمد بن حيان البستي، تح: محمد إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، دت.
٢٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢ .
٢٤- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، دت.
٢٥- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تح: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ١٣٩١ .
٢٦- المختصر في علم رجال الأثر، عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٦ .
٢٧- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٣٨٩ .
٢٨- معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، تح: عبد المعطي قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، ١٩٩١ . .
٢٩- معرفة علوم الحديث، ابو عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: السيد معظم حسين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، دت..
٣٠- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل لشيخنا الدكتور فاروق حمادة.
٣١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الإمام الذهبي، تح: علي محمد البجاوي، دار المغرفة، بيروت، ١٩٦٣ .
٣٢- نزهة النظر في شرح نخبة الفكر، ابن حجر العسقلاني، تح: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٨ .

REFERENCE

1- Researches in the History of the Noble Sunnah, Akram Al-Omari, Library of Sciences and Wisdom, Medina, 1415.

2- Arrangement of Major Topics by Ibn Al-Jawzi, Al-Hafiz Al-Dhahabi, trans.: Abdul Basir Khalifa Hassan, Dar Al-Tabaa Al-Muhammadiyah, Cairo, 1986.

3- Interpretation of the Great Qur'an, Ibn Kathir, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyah, Cairo, n.d.

4- Interpretation and its Men, Muhammad Al-Fadhel Ibn Ashur, Dar Al-Kutub Al-Sharqiyah, Tunis, 1972.

5- Taqrib Al-Tahdheeb, Ibn Hajar Al-Asqalani, trans.: Muhammad Awwamah, Dar Al-Bashair Al-Islamiyah, Beirut, 1406.

6- Jami' Al-Usul fi Ahadith Al-Rasul, by Ibn Al-Athir, trans.: Abdul Majeed Salim, Sunnah Al-Muhammadiyah Press, Cairo, 1949.

7- Jami' Bayan Al-Ilm wa Fadluhu wa Ma Yaja'f Firtiha Wa Ma Yajaf Firtiha Wa Habiluhu, Ibn Abd Al-Barr Al-Namri, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1978.

8- Al-Jarh wa Al-Ta'dil, Ibn Abi Hatim Al-Razi, The Ottoman Encyclopedia, 1952.

9- Jami' Al-Jawami' Fi Usul Al-Fiqh, Al-Subki, ed.: Abdul-Moneim Ibrahim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, n.d.

10- Al-Risalah Al-Mustatrafa li-Bayan Al-Mashahir Al-Sunnah Al-Musharrifah, Muhammad bin Ja'far Al-Kattani, ed.: Muhammad Al-Muntasir bin Muhammad Al-Zamzami Al-Kattani, Dar Al-Fikr, Damascus, 1964.

11- Sunan Ibn Majah, ed.: Muhammad Fu'ad Abdul-Baqi, Dar Al-Fikr, Beirut, n.d.

12- Seerah A'lam Al-Nubala', Imam Al-Dhahabi, ed.: A group of professors, Introduction: Bashar Awad Marouf, Al-Risalah Foundation, Beirut, 1985.

13- Explanation of Al-Tabsira and Al-Tadhkira, Abu Al-Fadl Zain Al-Din Abdul Rahim bin Ibrahim Al-Iraqi, trans. Abdul Latif Al-Humaim and Maher Yassin Fahl, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, 2002,

14- Explanation of the Causes of Al-Tirmidhi, Zain Al-Din Abdul Rahman bin Rajab Al-Hanbali, trans. Nour Al-Din Atar, Dar Al-Mallah for Printing and Publishing, 1398.

15- Explanation of the Elite of Thought in the Terminology of the People of the Tradition, Ibn Hajar, Al-Bishri Library, Pakistan, 2011.

16- Shifa Al-Aleel with the Words and Rules of Al-Jarh and Al-Ta'deel by Abu Al-Hasan Mustafa bin Ismail,

17- Sahih Muslim, trans. Muhammad Fuad Abdul Baqi, Dar Ihya Al-Turath

Al-Arabi, Beirut, 18- Controls of Al-Jarh and Al-Ta'deel, Abdul Aziz Al-Abdul Latif, College of Hadith, Medina, 1412.

19- The Origin and Development of the Science of Men, Muhammad bin Matar Al-Zahrani, Dar Al-Hijrah, Riyadh, 1417.

20- Hadith Sciences, Ibn Al-Salah, trans. Nour Al-Din Atar, Scientific Library, Beirut, 1981.

21- Fath al-Mugheeth bi Sharh Al-Alfiyyah al-Hadith by Al-Iraqi, Al-Sakhawi, ed.: Ali Hussein Ali, Department of Scientific Research, India, 1409.

22- The Book of the Wounded, Muhammad bin Hayyan Al-Basti, ed.: Muhammad Ibrahim Zayed, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, ed.

23- Revealing suspicions about the names of books and arts, Haji Khalifa, Dar Al-Fikr, Beirut, 1402.

24- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Dar Sader, Beirut, ed.

25- The Distinguishing Narrator between the Narrator and the Conscious, Al-Hassan bin Abdul Rahman Al-Ramharmuzi, trans. Muhammad Ajaj Al-Khatib, Dar Al-Fikr, Beirut, 1391.

26- The Summary of the Science of Men of Hadith, Abdul Wahhab Abdul Latif, Dar Al-Kutub Al-Hadithah, Cairo, 1386.

27- Dictionary of Language Standards, Ahmad bin Faris, trans. Abdul Salam Muhammad Harun, 2nd ed., 1389.

28- Knowledge of Sunnah and Hadith, Abu Bakr Al-Bayhaqi, trans. Abdul Muati Qalaji, University of Islamic Studies, Karachi, 1991.

29- Knowledge of Hadith Sciences, Abu Abdullah Al-Hakim Al-Nishaburi, trans. Sayyid Muazzam Hussain, Publications of Dar Al-Afaq Al-Jadida, Beirut, n.d.

30- The Islamic Methodology of Criticism and Validation by our Sheikh Dr. Farouk Hamada.

31- The Balance of Moderation in Criticizing Men, Imam Al-Dhahabi, trans. Ali Muhammad Al-Bajawi, Dar Al-Maghrafah, Beirut, 1963.

32- A Walk to Consider in Explaining the Elite of Thought, Ibn Hajar Al-Asqalani, trans. Abdul Karim Al-Fadhili, Al-Asriya Library, Sidon, Beirut, 1998.